● قوله: «الحَمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسولَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ على الدِّين كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدا».

الشرح:

* قوله: «الحمْدُ للّه الذي أَرْسَلَ رَسُولهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحق»: الله تعالى يُحمد على كماله عز وجل وعلى إنعامه؛ فنحن نحمد الله عز وجل لأنه كامل الصفات من كل وجه، ونحمده أيضاً لأنه كامل الإنعام والإحسان: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وأكبر نعمة أنعم الله بها على الخلق إرسال الرسل الذي به هداية الخلق، ولهذا يقول المؤلف: «الحَمْدُ للّه الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِين الحَقّ».

والمراد بالرسول هنا الجنس؛ فإن جميع الرسل أُرسلوا بالهدى ودين الحق، ولكن الذي أكمل الله به الرسالة محمد ﷺ؛ فإنه قد ختم الله به الأنبياء، وتم به البناء؛ كما وصف النبي ﷺ نفسه بالنسبة للرسل؛ كرجل بنى قصراً وأتمه؛ إلا موضع لبنة، فكان الناس يأتون إلى هذا القصر ويتعجبون منه؛ إلا موضع هذه اللبنة؛ يقول: «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[1]، عليه الصلاة

(١) رواه: البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والسلام.

* وقوله: «بالهُدَى»: الباء هنا للمصاحبة، والهدى هو العلم النافع، ويحتمل أن تكون الباء للتعدية؛ أي: إن المرسل به هو الهدى ودين الحق.

* و«دين الحق» هو العمل الصالح؛ لأن الدين هو العمل أو الجزاء على العمل؛ فمن إطلاقه على العمل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ومن إطلاقه على الجزاء: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧]، والحق ضد الباطل، وهو ـ أي الحق ـ المتضمن لجلب المصالح ودرء المفاسد في الأحكام والأخبار.

* قوله: «لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ»: اللام للتعليل. ومعنى «ليظهره»؛ أي: يعليه؛ لأن الظهور بمعنى العلو، ومنه: ظهر الدابة أعلاها، ومنه: ظهر الأرض سطحها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

والهاء في «يظهره» هل هو عائد على الرسول أو على الدين؟

إن كان عائداً على «دين الحق»؛ فكل من قاتل لدين الحق سيكون هو العالي. لأن الله يقول: «ليظهره»؛ يظهر هذا الدين على الدين كله، وعلى ما لا دين له، فيظهره عليهم من باب أولى؛ لأن من لا يدين أخبث ممن يدين بباطل؛ فإذاً: كل الأديان التي يزعم أهلها أنهم على حق سيكون دين الإسلام عليها ظاهراً، ومن سواهم من باب أولى.

وإن كان عائداً إلى الرَّسول عليه الصلاة والسلام؛ فإنما يظهر الله رسوله لأن معه دين الحق.

وعلى كلا التقديرين؛ فإن من تمسك بهذا الدين الحق؛ فهو الظاهر العالي، ومن ابتغى العزة في غيره؛ فقد ابتغى الذل؛ لأنه لا ظهور ولا عزة ولا كرامة إلا بالدين الحق، ولهذا أنا أدعوكم معشر الإخوة إلى التمسك بدين الله ظاهراً وباطناً في العبادة والسلوك والأخلاق، وفي الدعوة إليه، حتى تقوم المِلَّة وتستقيم الأُمة.

* قوله: «وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً»: يقول أهل اللغة: إن الباء هنا زائدة، لتحسين اللفظ والمبالغة في الكفاية، وأصلها: «وكفى الله».

و«شهيداً»: تمييز محول عن الفاعل؛ لأن أصلها «وكفت شهادة الله».

المؤلف جاء بالآية؛ ولو قال قائل: ما مناسبة «كفى بالله شهيداً»؛ لقوله: «ليظهره على الدين كله»؟

قيل: المناسبة ظاهرة؛ لأن هذا النبي عليه الصلاة والسلام جاء يدعو الناس ويقول: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار[1]. ويقول بلسان الحال: من أطاعني سالمته، ومن

---

(١) لما رواه البخاري (٧٢٨٠)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبىٰ،قالوا يا رسول الله!ومن يأبىٰ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ».

عصاني حاربته. ويحارب الناس بهذا الدين، ويستبيح دماءهم وأموالهم ونساءهم وذريتهم، وهو في ذلك منصور مؤزر غالب غير مغلوب؛ فهذا التمكين له في الأرض؛ أي: تمكين الله لرسوله في الأرض: شهادة من الله عز وجل فعلية بأنه صادق، وأن دينه حق؛ لأن كل من افترى على الله كذباً؛ فمآله الخذلان والزوال والعدم، وانظر إلى الذين ادعوا النبوة ماذا كان مآلهم؟ أن نسوا وأُهلكوا؛ كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي... وغيرهما ممن ادعوا النبوة، كلهم تلاشوا، وبان بطلان قولهم، وحرموا الصواب والسداد، لكن هذا النبي محمداً ﷺ على العكس، دعوته إلى الآن والحمد لله باقية، ونسأل الله أن يثبتنا وإياكم عليها، دعوته إلى الآن باقية، وإلى أن تقوم الساعة، ثابتة راسخة، يستباح بدعوته إلى اليوم دماء من ناوأها من الكفار وأموالهم، وتسبى نساؤهم وذريتهم[1]، هذه الشهادة فعلية، ما أخذه الله ولا فضحه ولا كذبه، ولهذا جاءت بعد قوله: «ليظهره علىالدين كله».

● قوله: **«وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقراراً به وَتَوْحِيداً»**.

(١) لما رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم؛ إلّا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله».

الشرح:

* «أشهد»؛ بمعنى: أُقر بقلبي ناطقاً بلساني؛ لأن الشهادة نطق وإخبار عما في القلب؛ فأنت عند القاضي تشهد بحق فلان على فلان؛ تشهد باللسان المعبر عما في القلب، واختيرت الشهادة دون الإقرار؛ لأن الشهادة أصلها من شهود الشيء؛ أي: حضوره ورؤيته؛ فكأن هذا المخبر عما في قلبه الناطق بلسانه؛ كأنه يشاهد الأمر بعينه.

* «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللّٰه»؛ أي: لا معبود حق إلا الله، وعلى هذا يكون خبر لا محذوفاً، ولفظ الجلالة بدلاً منه.

* «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»: «وحده»: هي من حيث المعنى توكيد للإثبات، «لا شريك له»: توكيد للنفي.

* «إقراراً به وتوحيداً»: «إقراراً» هذه مصدر، وإن شئت؛ فقل: إنه مفعول مطلق؛ لأنه مصدر معنوي لقوله: «أشهد»، وأهل النحو يقولون: إذا كان المصدر بمعنى الفعل دون حروفه؛ فهو مصدر معنوي، أو مفعول مطلق، وإذا كان بمعناه وحروفه؛ فهو مصدر لفظي فـ: قمت قياماً: مصدر لفظي، و: قمت وقوفاً: مصدر معنوي، و: جلست جلوساً: لفظي، و: جلست قعوداً: معنوي.

* وقوله: «وتوحيداً»: مصدر مؤكد لقوله: «لا إله إلا الله».

● قوله: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه».

الشرح:

* نقول في «أشهد» ماقلنا في «أشهد» الأولى.

* ومحمد: هو ابن عبدالله بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي، الذي هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، أشرف الناس نسباً، عليه الصلاة والسلام.

هذا النبي الكريم هو عبد الله ورسوله، وهو أعبد الناس لله، وأشدهم تحقيقاً لعبادته، كان عليه الصلاة والسلام يقوم في الليل حتى تتورم قدماه، ويقال له: كيف تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»[1]؛ لأن الله تعالى أثنى على العبد الشكور حين قال عن نوح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣]، فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يصل إلى هذه الغاية، وأن يعبد الله تعالى حق عبادته، ولهذا كان أتقى الناس، وأخشى الناس لله، وأشدهم رغبةً فيما عند الله تعالى؛ فهو عبد لله، ومقتضى عبوديته أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً، وليس له حق في الربوبية إطلاقاً، بل هو عبد محتاج إلى الله مفتقر له يسأله ويدعوه ويرجوه ويخافه، بل إن الله أمره أن يعلن وأن يبلغ بلاغاً خاصّاً بأنه لا يملك شيئاً من هذه الأمور، فقال: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وأمره أن

---

(١) البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَٰغًا﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٣] ﴿إلا﴾: استثناء منقطع؛ أي: لكن أُبلغ بلاغاً من الله ورسالاته.

فالحاصل أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه عبدٌ لله، ومقتضى هذه العبودية أنه لا حق له في شيء من شؤون الربوبية إطلاقاً...

وإذا كان محمدٌ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بهذه المثابة؛ فما بالك بمن دونه من عباد الله؟! فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، ولا لغيرهم أبداً، وبهذا يتبين سفه أولئك القوم الذين يدعون من يدّعونهم أولياء من دون الله عز وجل...

* وقوله: «ورسوله»: هذا أيضاً وصف لا يكون لأحد بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه خاتم النبيين؛ فهو رسول الله الذي بلغ مكاناً لم يبلغه أحدٌ من البشر، بل ولا من الملائكة فيما نعلم، اللهم إلا حملة العرش، وصل إلى ما فوق السماء السابعة، وصل إلى موضع سمع فيه صريف أقلام[1] القضاء الذي يقضي به الله عز وجل في خلقه، ما وصل أحد فيما نعلم إلى هذا المستوى، وكلمه الله عز وجل بدون واسطة، وأرسله إلى الخلق كافة، وأيده بالآيات

(١) لما رواه البخاري (٣٤٩) أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: «ثم عُرِجَ بي حتىٰ ظهرت لمستوىٰ أسمع فيه صريفَ الأقلام».

العظيمة التي لم تكن لأحد من البشر أو الرسل قبله، وهو هذا القرآن العظيم؛ فإن هذا القرآن لا نظير له في آيات الأنبياء السابقين أبداً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥٢]، هذا يكفي عن كل شيء، ولكن لمن كان له قلب أو أَلقى السمع وهو شهيد، أَما المُعْرِض؛ فسيقول كما قال من سبقه: هذا أساطير الأولين!

الحاصل أن محمداً ﷺ رسول الله وخاتم النبيين، ختم الله به النبوة والرسالة أيضاً؛ لأنه إذا انتفت النبوة، وهي أعم من الرسالة؛ انتفت الرسالة التي هي أخص؛ لأن انتفاء الأعم يستلزم انتفاء الأخص؛ فرسول الله عليه الصلاة والسلام هو خاتم النبيين.

● قوله: «صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً مَزِيداً».

الشرح:

* معنى «صلى الله عليه»: أحسن ما قيل فيه ما قاله أبو العالية رحمه الله؛ قال: «صلاة الله على رسوله: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى»(١).

وأما من فسر صلاة الله عليه بالرحمة؛ فقوله ضعيف؛ لأن

---

(١) رواه البخاري عن أبي العالية في تفسيره سورة الأحزاب: «باب إن الله وملائكته يصلون على النبي»، «فتح» (٨/ ٥٣٢)، ووصله القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٩٥) بإسناد حسن كما قال الشيخ الألباني.

الرحمة تكون لكل أحد، ولهذا أجمع العلماء على أنك يجوز أن تقول: فلان رحمه الله، واختلفوا؛ هل يجوز أن تقول: فلان صلى الله عليه؟ وهذا يدل على أن الصلاة غير الرحمة. وأيضاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، والعطف يقتضي المغايرة، إذاً؛ فالصلاة أخص من الرحمة؛ فصلاة الله على رسوله ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

* وكذلك قوله: «**وعلى آله**»، و(آله) هنا: أتباعه على دينه، هذا إذا ذكرت الآل وحدها أو مع الصحب؛ فإنها تكون بمعنى أتباعه على دينه منذ بعث إلى يوم القيامة. ويدل على أن الآل بمعنى الأتباع على الدين قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ أي: أتباعه على دينه.

أما إذا قرنت بالأتباع؛ فقيل: آله وأتباعه؛ فالآل هم المؤمنون من آل البيت؛ أي: بيت الرسول عليه الصلاة والسلام.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يذكر الأتباع هنا؛ قال: «آله وصحبه»؛ فنقول: آله هم أتباعه على دينه، وصحبه كل من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

وعطف الصحب هنا على الآل من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الصحبة أخص من مطلق الاتِّباع.

* قوله: «**وَسَلَّم تَسْلِيماً مَزِيداً**»: (سلم) فيها السلامة من الآفات، وفي الصلاة حصول الخيرات؛ فجمع المؤلف في هذه

الصيغة بين سؤال الله تعالى أن يحقق لنبيه الخيرات ـ وأخصها: الثناء عليه في الملأ الأعلى ـ وأن يزيل عنه الآفات، وكذلك من اتبعه.

والجملة في قوله: «صلى» و«سلم» خبرية لفظاً طلبية معنى؛ لأن المراد بها الدعاء.

* وقوله: «مزيداً»؛ بمعنى: زائداً أو زيادة، والمراد تسليماً زائداً على الصلاة، فيكون دعاءً آخر بالسلام بعد الصلاة.

والرسول عند أهل العلم: «من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه».

وقد نبىء ﷺ بـ ﴿اقرأ﴾، وأرسل بالمدثر؛[1] فبقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥] كان نبيّاً، وبقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] كان رسولاً عليه الصلاة والسلام.

● قوله: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَهٰذا اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورةِ إلى قِيامِ السَّاعَةِ؛ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ**».

الشرح:

* «أما بعد»: (أما) هذه نائبة عن اسم شرط وفعله، التقدير: مهما يكن من شيء؛ قال ابن مالك:

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٣ و ٤).

أمّا كَمَهْما يَكُ مِنْ شَيْءٍ وَفَا لِتِلْـوِ تِلْـوْهـا وجـوبـاً أُلِفـا

فقولهم : أَما بعد: التقدير: مهما يكن من شيء بعد هذا؛ فهذا.

وعليه؛ فالفاء هنا رابطةٌ للجواب، والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط، ويحتمل عندي أن تكون: «أما بعد؛ فهذا»؛ أي أن (أما) حرف شرط وتفصيل، أو حرف شرط فقط مجرد عن التفصيل، والتقدير: أما بعد ذكر هذا؛ فأنا أذكر كذا وكذا. ولا حاجة أن نقدر فعل شرط، ونقول: إن (أما) حرف ناب مناب الجملة.

* **«فهذا اعتقاد»**: «فهذا»: الإشارة لا بد أن تكون إلى شيء موجود، أنا عندما أقول: هذا؛ فأنا أُشير إلى شيء محسوس ظاهر، وهنا المؤلف كتب الخطبة قبل الكتاب وقبل أن يبرز الكتاب لعالم الشاهد؛ فكيف ذلك؟!

أقول: إن العلماء يقولون: إن كان المؤلف كتب الكتاب ثم كتب المقدمة والخطبة؛ فالمشار إليه موجود ومحسوس، ولا فيه إشكال، وإن لم يكن كتبه؛ فإن المؤلف يشير إلى ما قام في ذهنه عن المعاني التي سيكتبها في هذا الكتاب، وعندي فيه وجه ثالث، وهو أن المؤلف قال هذا باعتبار حال المخاطب، والمخاطَب لم يُخاطَبْ بذلك إلا بعد أن برز الكتاب وصدر؛ فكأنه يقول: «فهذا الذي بين يديك كذا وكذا».

هذه إذاً ثلاثة أوجه.

* «**اعتقاد**»: افتعال من العقد، وهو الربط والشد، هذا من حيث التصريف اللغوي، وأما في الاصطلاح عندهم؛ فهو حكم الذهن الجازم؛ يقال: اعتقدت كذا؛ يعني: جزمت به في قلبي؛ فهو حكم الذهن الجازم؛ فإن طابق الواقع؛ فصحيح، وإن خالف الواقع؛ ففاسد؛ فاعتقادنا أن الله إله واحد صحيح، واعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل؛ لأنه مخالف للواقع، ووجه ارتباطه بالمعنى اللغوي ظاهر؛ لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيء ما كأنه عقده عليه وشده عليه بحيث لا يتفلت منه.

* و«**الفِرْقَة**» بكسر الفاء؛ بمعنى: الطائفة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وأما الفُرقة بالضم؛ فهي مأخوذة من الافتراق.

* و«**النَّاجِية**»: اسم فاعل مِن نجا، إذا سلم؛ ناجية في الدنيا من البدع سالمة منها، وناجية في الآخرة من النار.

ووجه ذلك أن النبي ﷺ قال: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»(١).

هذا الحديث يبين لنا معنى (النَّاجية)؛ فمن كان على مثل ما

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١)، واللالكائي في «شرح السنة» (١٤٧)، والحاكم (١/١٢٩) والآجري (١٥ و ١٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بإسناد فيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف لسوء حفظه، ولكن للحديث شاهد عن أنس رضي الله عنه أخرجه الطبراني في «الصغير» (٧٢٤)، والعُقَيلي في «الضُّعفاء» (٢/٢٦٢)، وبه يرتقي إلى درجة الحسن.

عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ فهو ناجٍ من البدع. و«كلها في النار إلا واحدة»: إذاً هي ناجية من النار؛ فالنجاة هنا من البدع في الدنيا، ومن النار في الآخرة.

* «**المنصورة إلى قيام الساعة**»: عبَّر المؤلف بذلك موافقة للحديث؛ حيث قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أُمتي على الحق ظاهرين»[1]، والظهور الانتصار؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾، والذي ينصرها هو الله وملائكته والمؤمنون؛ فهي منصورة إلى قيام الساعة؛ منصورة من الرب عز وجل، ومن الملائكة، ومن عباده المؤمنين، حتى قد يُنْصَرُ الإنسانُ من الجن؛ ينصره الجن ويُرْهِبون عدوَّه.

* «**إلى قيام الساعة**»؛ أي: إلى يوم القيامة؛ فهي منصورة إلى قيام الساعة.

وهنا يرد إشكال، وهو أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بأن الساعة تقوم على شرار الخلق[2]، وأنها لا تقوم حتى لا يقال:

---

(١) ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وهو حديث متواتر.
كما نص على ذلك:
شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط» (١/ ٦٩)، والكتاني في «نظم المتناثر» (٩٣)، والزبيدي في «لقط اللالىء المتناثرة» (٦٨)، والألباني في «صلاة العيدين» (ص ٣٩ ـ ٤٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الله الله[1]؛ فكيف نجمع بين هذا وبين قوله: «إلى قيام الساعة»؟!

والجواب: أن يقال: إن المراد: إلى قرب قيام الساعة؛ لقوله في الحديث: «حتى يأتي أمر الله»[2]، أو: إلى قيام الساعة؛ أي: ساعتهم، وهو موتهم؛ لأن من مات فقد قامت قيامته، لكن الأول أقرب؛ فهم منصورون إلى قرب قيام الساعة، وإنما لجأنا إلى هذا التأويل لدليل، والتأويل بدليل جائز؛ لأن الكل من عند الله.

* «**أهل السنة والجماعة**»: أضافهم إلى السنة؛ لأنهم متمسكون بها، والجماعة؛ لأنهم مجتمعون عليها.

فإن قلت: كيف يقول: «أهل السنة والجماعة»؛ لأنهم جماعة؛ فكيف يضاف الشيء إلى نفسه؟!

فالجواب: أن الأصل أن كلمة الجماعة بمعنى الاجتماع؛ فهي اسم مصدر، هذا في الأصل، ثم نقلت من هذا الأصل إلى القوم المجتمعين، وعليه؛ فيكون معنى أهل السنة والجماعة؛ أي: أهل السنة والاجتماع، سموا أهل السنة؛ لأنهم متمسكون بها، وسموا أهل الجماعة؛ لأنهم مجتمعون عليها.

ولهذا لم تفترق هذه الفرقة كما افترق أهل البدع؛ نجد أهل البدع؛ كالجهمية متفرقين، والمعتزلة متفرقين، والروافض

---

(١) رواه مسلم (١٤٨) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٣١٢)، ومسلم (١٩٢٠).

متفرقين، وغيرهم من أهل التعطيل متفرقين، لكن هذه الفرقة مجتمعة على الحق، وإن كان قد يحصل بينهم خلاف، لكنه خلاف لا يضر، وهو خلاف لا يضلل أحدهم الآخر به؛ أي: أن صدورهم تتسع له، وإلا؛ فقد اختلفوا في أشياء مما يتعلق بالعقيدة؛ مثل: هل رأى النبي ﷺ ربه بعينه أم لم يره؟ ومثله: هل عذاب القبر على البدن والروح أو الروح فقط؟ ومثل بعض الأُمور يختلفون فيها، لكنها مسائل تعد فرعية بالنسبة للأصول، وليست من الأصول. ثم هم مع ذلك إذا اختلفوا؛ لا يضلل بعضهم بعضاً؛ بخلاف أهل البدع.

إذاً؛ فهم مجتمعون على السنة؛ فهم أهل السنة الجماعة.

وعلم من كلام المؤلف رحمه الله أنه لا يدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم؛ فالأشاعرة مثلاً والماتريدية لا يعدُّون من أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ لأنهم مخالفون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها، ولهذا يخطىء من يقول: إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريديون؛ فهذا خطأ؛ نقول: كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون؟! فماذا بعد الحق إلا الضلال؟! وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟! هذا لا يمكن؛ إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين؛ فنعم، وإلا؛ فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة؛ فمن هو؟! الأشعرية، أم الماتريدية، أم السلفية؟! نقول: من وافق السنة؛ فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة؛ فليس صاحب سنة؛ فنحن نقول: السلف هم أهل السنة

والجماعة، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها. لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل سنة؟! لا يمكن! وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة: إنهم مجتمعون؟! فأين الاجتماع؟! فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابه؛ فإنه سلفي.

● قوله: «**وَهُوَ الإيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، والإيمانُ بالقَدَر خَيْرِه وَشَرّه**».

الشرح:

هذه العقيدة أصَّلها لنا النبي ﷺ في جواب جبريل حين سأل النبيَّ ﷺ: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ متى الساعة؟ فالإيمان ـ قال له ـ: «أن تومن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»[(١)].

* «**الإيمان بالله**»: الإيمان في اللغة: يقول كثير من الناس: إنه التصديق؛ فصدقت وآمنت معناهما لغةً واحد، وقد سبق لنا في التفسير أن هذا القول لا يصح، بل الإيمان في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به؛ بدليل أنك تقول: آمنت بكذا، وأقررت بكذا، وصدقت فلاناً. ولا تقول: آمنت فلاناً.

إذاً؛ فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق، وهو

---

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، هذا الإيمان، أما مجرد أن تؤمن بأن الله موجود؛ فهذا ليس بإيمان، حتى يكون هذا الإيمان مستلزماً للقبول في الأخبار والإذعان في الأحكام، وإلا؛ فليس إيماناً.

والإيمان بالله يتضمن أربعة أُمور:

١ ـ الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

٢ ـ والإيمان بربوبيته؛ أي: الانفراد بالربوبية.

٣ ـ والإيمان بانفراده بالألوهية.

٤ ـ والإيمان بأسمائه وصفاته.

لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك.

فمن لم يؤمن بوجود الله؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بوجود الله لا بانفراده بالربوبية؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية لا بالأُلوهية؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية وبالأُلوهية لكن لم يؤمن بأسمائه وصفاته؛ فليس بمؤمن، وإن كان الأخير فيه من يسلب عنه الإيمان بالكلية وفيه من يسلب عنه كمال الإيمان.

الإيمان بوجوده:

إذا قال قائل: ما الدليل على وجود الله عز وجل؟

قلنا: الدليل على وجود الله: العقل، والحس، والشرع؛

ثلاثة كلها تدل على وجود الله، وإن شئت؛ فزد: الفطرة، فتكون الدلائل على وجود الله أربعة: العقل، والحس، والفطرة، والشرع. وأخرنا الشرع، لا لأنه لا يستحق التقديم، لكن لأننا نخاطب من لا يؤمن بالشرع.

ـ فأما دلالة العقل؛ فنقول: هل وجود هذه الكائنات بنفسها، أو وُجِدت هكذا صدفة؟

فإن قلت: وُجِدت بنفسها؛ فمستحيل عقلاً، ما دامت هي معدومة؛ كيف تكون موجودة وهي معدومة؟! المعدوم ليس بشيء حتى يوجِدَ، إذاً؛ لا يمكن أن توجِدَ نفسَها بنفسها! وإن قلت: وُجِدت صدفة؛ فنقول: هذا يستحيل أيضاً؛ فأنت أيها الجاحد؛ هل ما أُنْتِجَ من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها؛ هل وُجِد هذا صدفة؟! فيقول: لا يمكن أن يكون. فكذلك هذه الأطيار والجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر والجمر والرمال والبحار وغير ذلك، لا يمكن أن توجد صدفة أبداً.

ويقال: إن طائفة من السُّمنية جاؤوا إلى أبي حنيفة رحمه الله، وهم من أهل الهند، فناظروه في إثبات الخالق عز وجل، وكان أبو حنيفة من أذكى العلماء، فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، فجاؤوا؛ قالوا: ماذا قلت؟ قال: أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق، جاءت تشق عباب الماء، حتى أرست في الميناء، ونزلت الحمولة، وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمالون. قالوا: تفكر بهذا؟! قال: نعم. قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يُعْقَلُ

أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتنصرف؟! هذا ليس معقول! قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟! فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، وعجزوا عن جوابه هذا أو معناه.

وقيل لأعرابي من البادية: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير؛ فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ ألا تدل على السميع البصير؟

ولهذا قال الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

فحينئذ يكون العقل دالاًّ دلالة قطعية على وجود الله.

ـ وأما دلالة الحسّ على وجود الله؛ فإن الإنسان يدعو الله عز وجل؛ يقول: يا رب! ويدعو بالشيء، ثم يُسْتَجاب له فيه، وهذه دلالة حسية. هو نفسه لم يدع إلا الله، واستجاب الله له، رأى ذلك رأي العين. وكذلك نحن نسمع عمَّن سبق وعمَّن في عصرنا؛ أن الله استجاب له.

فالأعرابي الذي دخل والرسول ﷺ يخطب الناس يوم الجمعة قال: هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فَادْعُ الله يغيثنا. قال أنس: والله؛ ما في السماء من سحاب ولا قزعة (أي: قطعة سحاب)، وما بيننا وبين سَلْعٍ (جبل في المدينة تأتي من جهته السحب) من بيت ولا دار... وبعد دعاء الرسول ﷺ فورًا خرجت

سحابة مثل الترس، وارتفعت في السماء، وانتشرت، ورعدت، وبرقت، ونزل المطر؛ فما نزل الرسول ﷺ إلا والمطر يتحادر من لحيته عليه الصلاة والسلام[1].

وهذا أمر واقع يدل على وجود الخالق دلالة حسية.

وفي القرآن كثير من هذا؛ مثل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤]، وغير ذلك من الآيات.

ـ وأما دلالة الفطرة؛ فإن كثيرًا من الناس الذين لم تنحرف فطرهم يؤمنون بوجود الله، حتى البهائم العُجْم تؤمن بوجود الله، وقصة النملة التي رُوِيت عن سليمان عليه الصلاة والسلام؛ خرج يستسقي، فوجد نملة مستلقية على ظهرها، رافعةً قوائمها نحو السماء، تقول: اللهم! أنا خلق من خلقك؛ فلا تمنع عنا سقياك. فقال: ارجعوا؛ فقد سقيتم بدعوة غيركم[2].

فالفطر مجبولة على معرفة الله عز وجل وتوحيده.

وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن

---

(١) رواه: البخاري (١٠٣٣)، ومسلم (٨٩٧)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» لابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي. وانظر: «اجتماع الجيوش» لابن القيم (ص٣٢٨ و ٣٢١).

تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]؛ فهذه الآية تدل على أن الإنسان مجبول بفطرته على شهادته بوجود الله وربوبيته وسواءٌ أقلنا: إن الله استخرجهم من ظهر آدم واستشهدهم، أو قلنا: إن هذا هو ما ركب الله تعالى في فطرهم من الإقرار به؛ فإن الآية تدل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته.